الأطباء عن بكرة أبيهم على مدح عموم منفعة السكنجبين[1] فى كل مرض ، وأصله العسل وكذلك سائر المعجونات ، على أن النبى ﷺ قد حسم داء الإشكال وأزاح وجه الاحتمال حين أمر الذى يشتكى بطنه بشرب العسل ، فلما أخبره أخوه بأنه لم يزده إلا استطلاقا أمره بعود الشراب له فبرئ ؛ وقال : " صدق الله وكذب بطن أخيك " .

ـ اعترض بعض زنادقة الأطباء على هذا الحديث فقال : قد أجمعت الأطباء على أن العسل يسهل فكيف يوصف لمن به الإسهال ؛ فالجواب أن ذلك القول حق فى نفسه لمن حصل له التصديق بنبيه عليه السلام ، فيستعمله على الوجه الذى عينه وفى المحل الذى أمره بعقدنية وحسن طوية ، فإنه يرى منفعته ويدرك بركته ، كما قد اتفق لصاحب هذا العسل وغيره كما تقدم ، وأما ما حكى من الاجماع فدليل على جهله بالنقل حيث لم يقيد وأطلق ، قال الامام أبو عبد الله المازرى : ينبغى أن يُعلم أن الإسهال يعرض من ضروب كثيرة ، منها الإسهال الحادث عن التخم والهيضات[2]؛ والأطباء مجمعون فى مثل هذا على أن علاجه بأن يترك للطبيعة وفعلها ، وإن احتاجت الى معين على الإسهال أعينت ما دامت القوة باقية ، فأما حبسها فضرر ، فإذا وضح هذا قلنا : فيمكن أن يكون ذلك الرجل أصابه الإسهال عن امتلاء وهيضة فأمره النبى ﷺ بشرب العسل فزاده إلى أن فنيت المادة فوقف الإسهال فوافقه شرب العسل ، فإذا خرج هذا عن صناعة الطب أذن ذلك بجهل المعترض بتلك الصناعة .

قال : ولسنا نستظهر على قول نبينا بأن يصدقه الأطباء بل لو كذبوه لكذبناهم ولكفرناهم وصدقناه ﷺ ؛ فإن أوجدونا بالمشاهدة صحة ما قالوه فتفتقر حينئذ إلى تأويل كلام رسول الله ﷺ وتخريجه على ما يصح إذ قامت الدلالة على أنه لا يكذب .

ب ـ الحبة السوداء:

في فضل الحبة السوداء ، وردت أحاديث نبوية عديدة ، في مختلف كتب السنة الصحيحة ، منها ما ورد في صحيح البخاري[3]، عن خالد بن سعد، قال : خرجنا ومعنا غالب بن أبجر فمرض في الطريق فقدمنا المدينة وهو مريض فعاده ابن أبي عتيق فقال لنا عليكم بهذه الحبيبة السوداء فخذوا منها خمسا أو سبعا فاسحقوها ثم أقطروها في أنفه بقطرات زيت في هذا الجانب وفي هذا الجانب فإن عائشة حدثتني أنها سمعت

---

(١) السكنجبين : شراب معرب ؛ أى خل وعسل (عن الألفاظ الفارسية المعربة) .

(٢) الهيضات : جمع هيضة ، وهى انطلا البطن .

(٣) صحيح البخاري شرح الكرماني ج ٢٠ ص ١٢٠ باب الحبة السوداء .

النبي ﷺ يقول إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام قلت وما السام قال الموت .

عن ابن شهاب قال أخبرني أبو سلمى وسعيد أبن المسيب أن أبا هريرة أخبرهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام " قال ابن شهاب والسام الموت والحبة السوداء الشونيز .

وورد في صحيح ابن ماجة [1] عن أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسَيَّب ، أن أبا هريرة أخبرهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " إن في الحبة السوداء شفاء مَن كل داء إلا السام " . . . وعن عثمان بن عبد الملك ، قال : سمعت سالم بن عبدالله يحدث عن أبيه ؛ أن رسول الله ﷺ قال " عليكم بهذه الحبة السوداء . فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام " [2] .

وقد ذكر ابن حجر العسقلانى عند شرحه لأحاديث الرسول ﷺ عن الحبة السوداء " معنى كون الحبة شفاء من كل داء أنها لاتستعمل فى كل داء صرفا ، بل ربما استعملت مفردة وربما استعملت مركبة ، وربما استعملت مسحوقة وغير مسحوقة وربما استعملت أكلا وشربا وسعوطا وضمادا وغير ذلك ، وقيل إن قوله " كل داء " تقديره يقبل العلاج بها فإنها تنفع من الأمراض الباردة ، وأما الحارة فلا ، نعم قد تدخل فى بعض الأمراض الحارة اليابسة بالعرض فتوصل قوى الأدوية الرطبة الباردة إليها بسرعة تنفيذها واستعمال الحارة فى بعض الأمراض الحارة الخاصية فيه لايستنكر كالعنزروت فإنه حار ويستعمل فى أدوية الرمد المركبة مع أن الرمد ورم حار باتفاق الأطباء .

وقد قال أهل العلم بالطب : إن طبع الحبة السوداء حار يابس ، وهى مذهبة للنفخ نافعة من البلغم مفتحة للسدد والريح ، مجففة لبلة المعدة ، وإذا دفنت وعجنت بالعسل وشربت بالماء الحار أذابت الحصاة وأدرت البول والطمث ، وإذا دقت وربطت بخرقة من كتان وأديم شمها نفع من الزكام البارد ، وإذا نقع منها سبع حبات فى لبن إمرأة وسعط بها صاحب اليرقان أفاده ، وإذا شرب منها وزن مثقال بماء أفاد من ضيق النفس ، والضماد بها ينفع من الصداع البارد ، وإذا طبخت بخل وتمضمض به نفعت من وجع الأسنان الكائن عن برد ، وقد ذكر ابن البيطار وغيره ممن صنف فى المفردات فى منافعها هذا الذى ذكرته وأكثر منه .

---

(١) ج٢ ص ١١٤١ كتاب الطب - باب الحبة السوداء .

(٢) الحديث رواه أيضا الترمذى ج٤ ص ٣٨٥ كتاب الطب باب ماجاء فى الحبة السوداء ، باللفظ نفسه .

وقال الخطابى : " قوله من كل داء " هو من العام الذى يراد به الخاص لأنه ليس فى طبع شئ من النبات مايجمع جميع الأمور التى تقابل الطبائع فى معالجة الأدواء بمقابلها ، وإنما المراد أنها شفاء من كل داء يحدث من الرطوبة .

وقال أبو بكر بن العربى : العسل عند الأطباء أقرب إلى أن يكون دواء من كل داء من الحبة السوداء ، ومع ذلك فإن من الأمراض مالو شرب صاحبه العسل لتأذى به ، فإن كان المراد بقوله فى العسل ﴿ فيه شفاء للناس ﴾ [1] النحل: ٦٩ ، الأكثر الغالب فحمل الحبة السوداء على ذلك أولى . . . وقال غيره : كان النبى ﷺ يصف الدواء بحسب مايشاهده من حال المريض ، فلعل قوله فى الحبة السوداء وافق مرض من مزاجه بارد فيكون معنى قوله : " شفاء من كل داء " أى من هذا الجنس الذى وقع القول فيه ، والتخصيص بالحيثية كثير شائع ، والله أعلم .

وقال الشيخ أبو محمد بن أبى جمرة : تكلم الناس فى هذا الحديث وخصوا عمومه وردوه إلى قول أهل الطب والتجربة ، ولا خفاء بغلط قائل ذلك لأنا إذا صدقنا أهل الطب ومدار علمهم إنما هو التجربة التى بناؤها على ظن غالب ، فتصديق من لاينطق عن الهوى أولى بالقبول من كلامهم [2] .

جـ ـ الكمأة والعجوة:

الكمأة [3] والعجوة [4] من الأطعمة التى ذكر رسول الله ﷺ أن فيها شفاء وأوصى بالتداوى بها ، وذلك فى كثير من الأحاديث النبوية الشريفة نشير منها إلى ما يلى :

– عن عامر بن سعيد عن أبيه قال : قال النبى ﷺ ":من اصطبح كل يوم تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل وقال غيره : سبع تمرات " [5] .

– عن سعد رضى الله عنه ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

"من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر " [6] .

---

(١) سورة النحل الآية ٦٩ .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج١٢ ص ٢٦٠ باب الحبة السوداء .

(٣) الكمأة : تكون فى وجه الأرض كما يكون الجدرى فى سطح الجسم وللذلك قالت العرب إنها جدرى الأرض (هامش الترمذى ج٤ص ٤٠٠) وقيل الكمأة : فى المنجد : نبات يقال له أيضا " شحم الأرض " يوجد فى الربيع تحت الأرض وهو أصل مستدير كالقلقاس ، لا ساق له ولا عرق ، لونه يميل إلى الغبرة (هامش ابن ماجه ج٢ص ١١٤٢) .

(٤) العجوة : صنف من تمر المدينة .

(٥) فتح البارى ج ١٢ ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

(٦) المرجع السابق ، أبو داود ج ٤ ص٧ باب في تمرة العجوة .